

— أوه ، هذا أنت ؟ ما اذق مواعيدك ! اننا نهم بان
نجلس للعشاء .

وجذبه من ذراعه ، واقتاده مسرعاً الى « الصالون » فتبعه
متباطئاً ثقيل الخطو ، كأنما ينتعل حذاء من حديد .

— اقدم لكم صديقي الشاعر اللبناني الذي كنت احداثكم
عنه منذ لحظات ..

لتحلّ عليك لعنة الله ايها الشقي ! أكان من الضروري
يا كامل ان تحدثهم عن شعري ؟ إيفرض ان احدى هؤلاء
الفتيات رغبت اليه ان يُترجم قصيدة من قصائده الى الفرنسية
فهل يكون هذا في طوقه ؟ كان يجب ان ...

— ولكن اقرب يا عزيزي ، وصافح كلاً منهم ، فنحن
هنا أسرة ؛ النصف الافضل أولاً : سيمون ، جانيت ، سوزان ،
هيلين و .. زينة . اننا نسميها « زينة » لانها تشبه البدويات ،
ألا ترى ذلك ؟ واعلّك تعرف بعد ذلك هذه الانصاف الحشنة :

صالح من بيروت ،

وسعيد من دمشق ،

واحد من العراق ،

وربيع من تونس ..

برج بابل عربي !

وكان سعيد اول

الحب اللاتيني

من تقدم منه فشدت على يده مرحباً . وتشجع هو ، فراح
يصافح سائر افراد الابرة وهو يتمم « تشرّفنا . وأحسن بان
« زينة » تضغط على يده وهي تصافحه ، فكأنما تودّ ان تستبقها
في يدها ، أو لعله — هو — لا يعرف ان يصافح بحرارة .
وتراجع يبحث عن كرسي ، فهتف به كامل :

— لا ، لا جلوس هنا ، بل الى المائدة — المتواضعة —
فوراً . ان بوسعي الآن ان ألتهم جملاً ؛ ولكن ليس هناك مع
الأسف إلا قطعة صغيرة ، بحجم الاذن ، من لحم البقر .

واتجه الجميع الى القاعة الاخرى ، فجلسوا الى طاولة صغيرة
قامت في وسطها ، بينما انتحى احد اركانها سرير متواضع ،
وقامت في ركن آخر خزانة ثياب صغيرة .

وأرسل انقاسه على مهل . إن كلاً منهم الآن معني بطعامه ،
ولكنه لا يقصّر في الضحك والنفكّه ، ما أشدّ نهمهم الى الطعام ،
الى الضحك ، الى الحياة كئيبها . وأخذ ينقل نظره خفية بين
الفتيات : « سيمون » وحدها كانت الجذابة فيهن . اما سوزان

انك منذ اليوم * ستحاول ان تقبس مثلهم . أترى حيويته
هذه الجديدة كيف تنعش وجودهم ، وتطلّ من أعينهم
ضاحكة ؟ لقد كنت تعرف رصانة « كامل » في بيروت ،
وتذكر حرصه الشديد على اجتناب الناس ، والانطواء على
النفس ؛ ولم تنس بعد انك كنت تُنحي باللائمة على « زهير »
وتنعي عليه هذا الحزن الدائم الذي كان يطبع حياته .
و « أسعد » ؟ ألم تسمع هذه الضحكات المجلجلة التي كان يُرساها
وهو الذي كانت الصرامة دأبه في حياته العملية ، يوم كان له
مكتب مقاولات في العاصمة ؟

كأنما هم ألقوا اثقال الرصانة التي كانت تُرهق اكتافهم في
بلادهم ، وشعروا شعوراً عميقاً بانهم مدعوون الى ان يسوقوا
في باريس حياةً منطلقة لا يحدّ من حريتها قيد ، فاستجابوا
لهذه الدعوة بكل ذرة من ذرات وجودهم ، وخلصوا وراءهم
اغلال ماضيهم .

مثلهم ينبغي ان

تكون . ولا مفرّ

لك من ذلك ان شئت

ان تنسجم وهذه

الحياة ، وتتساق مع

جو باريس هذا ، جو

الشباب الصاحب ، الزاخر بالحمياً والمرح . وليس لك خاصة
ان ترفض دعوة « كامل » الى سهرة هذه الليلة في منزله .
صحيح انك ستلقى في وسط غريب لم تأفقه ، ولكنك لن
تلبث طويلاً حتى تنصهر في بوتقته . على ان امامك شرطاً
واحداً لن يكلّفك كبير جهد ، هو ان تخنق ذلك التهيّب
البايد الذي تتعثر به قدماك في كل خطوة ، كأنما انت طفل
في سنه الاولى .

وتردّد الطفل طويلاً قبل ان يجرؤ على طرّق الباب حين
بلغ منزل « كامل » ؛ وأوشك التردّد ان يتحوّل الى قرار
بالعودة ساعة سماع صوت موسيقى وضحك فتيات . وطرقت
اصابعه الباب طرّقاً خفيفاً وانهاً ، كأنما كان يقصد الاّ يسمعه
احد . خير لي إذن ان اعود . سأرجع الى غرفتي ، فأقرأ في
كتاب ، أو اخرج الى الشارع فأضرب فيه على غير هدى .
وكاد ينفتل حين رأى الباب يُفتح ويُطلّ منه وجه كامل :

(*) فصل من رواية هذا العنوان ، تصدر عما قريب .

الرسائل

أنا ضيّعت في الكتابة احلامي .. وودّعتُ بهجة العنقوان
وبكيتُ الشباب بحرقه الوجدُ .. وتضنيه كاذبات الاماني
وحطّمتُ الكؤوس وهي حنينٌ وتسابيحٌ في فم الأشجان
فتمهلُ فليس لي غير احلامٍ تهاوت في خاطر النسيان
إنها ذكريات قلبٍ شقيٍّ .. نثرتها زوابعُ الحرمان
إنها عالمٌ من السحر والفن .. ونبعٌ من الهوى والأغاني

★

يا اغاني الوداع .. يا مأملي الحلو .. زباجة الهوى الفواح
ما لقلبي الغريب يقذفه الموج خطاماً .. على أكف الرياح ؟
كيف امضي؟ وقد تناثر حولي .. امل كان في الذرى من طماحي ؟
كيف امضي؟ .. وقد تلتفت بومي مشرباً الى الغد الملتاح ؟
وغدي! .. ما غدي ؟ أغيرُ شطايًا من حياةٍ مخضوبة بالجراح ؟
سوف يحشو الزمان فوق أمانتي تراب النسيان والأتراح
وستدوي للحنون فوق شفاهي

ويجفُ الرحيقُ في اقداحي

الموصل - العراق محمود فتحي الحروق

أينا سرت فالطريقُ عواءٌ ... ظلماً صارخ وداء عياءُ
ولهيب يوجُّ في الخافق الدامي ... وروح تضيق عنه السماء
جفَّ نبع الحياة في عمري الغض ... وماتت في مقلتي الاضواء
وورود الشباب صوّحها السقم فغاضت في قلبها الانداء
أينا سرت فالمنى تخنق الروح ... وقلب تنزّ منه الدماء
فعلى راحتيُّ بقيا شبابٍ ... ؛ وبعيني دمعة خرساء
وبجني مهجة تتلوّى - من جروحٍ - ... ومضغة هوجاء

★

أيها التائه المعذب .. يا من ضحكتُ من طوافك الاقدارُ
يا غريب الديار .. ودّع امانيك .. فقد آن ان يموت النهار
آن للروح ان يخلّتي في الكون بعيداً ... وملؤه الاسرار
آن ان تخنق السهاد بعينيك .. فقد طال يا شقي الاسار
طال مسراك هائماً .. في حمى الماضي .. وفي راحتيك شوك ونار
قد ضلت الدروب .. يا أيها التائه .. هذا شبابك المنهار ..
هذه دمعة الاسى بين جفنيك .. رثاء .. وشقوة .. واحتضار ..

★

وقفه يا زمان .. لاتسرع الخطو ، فعمري ما عاود إلا ثوان

- إذن ، ما هو الاسم الحقيقي لـ « زينة »؟

فضحكت زينة وأجابت على الفور : - كليوباترة !
وانفجر الجميع بالضحك . وشعر بالدم يحرق وجهه . أتراهم
يهزأون بي ؟ ولكن ما الذي قلته ؟ أكان خيراً لي ان اظلّ
على صمتي ، أن اظلّ شاعراً أبكم ؟

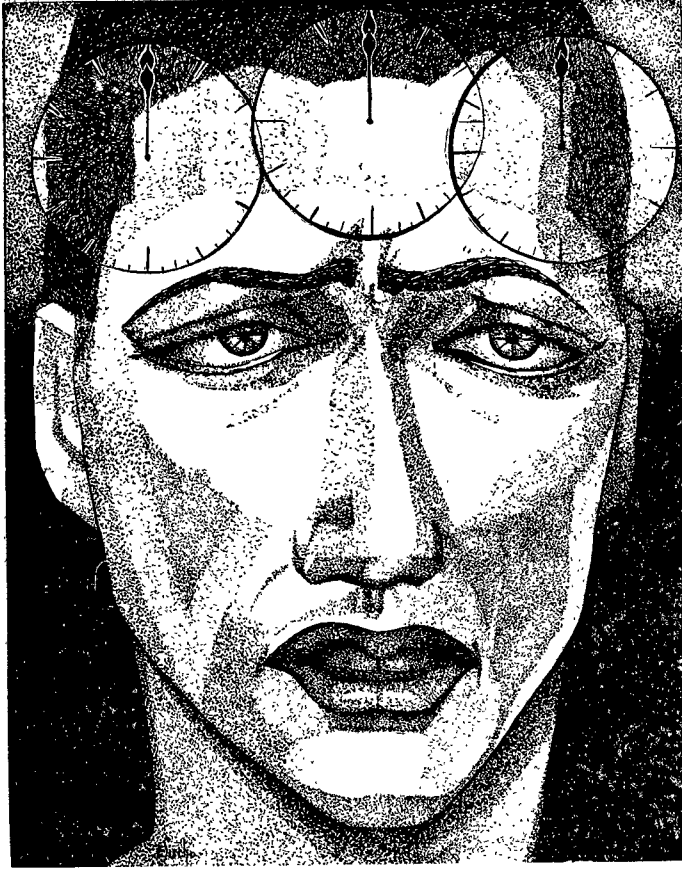
- عفواً ، انني قصدت المزاح . اسمي مرغريت . اليس هو
اسماً جميلاً ؟ الا يمكن ان يوحي اليك بشيء ؟

فضحك وأجاب ببساطة - : وكيف ! انه يوحي إليّ
بديوان شعر من مثني صفحة !
وأدهشه ان تصدي القاعة بالقهقهات . لقد انقذت نفسك .
انه الشباب الذي لا هم له ، ولا يحمل في صدره اية أوشاب .
ولكن ، ألا تلاحظ انهم شربوا ثلاث زجاجات من الخمر ، وانت
لمّا تفرغ كأسك الاولى ؟

وجانيت وهيلين ، فكنن فقط جميلات . واما « زينة » ، هذه
التي يدعونها « زينة » ، فلا يدري ... بلي ، إن في نظراتها
تحديقاً عميقاً يبعث على الخوف ، وعلى شفتيها الرياتين شهوة
تسيل .

ولكن كيف اتيح لهم ان يجتمعوا كلهم هنا ؟ أية جرأة في
إهاب كل من هاتيك الفتيات ان تسعى الى لقاء حبيبها في غرفة
صغيرة امام الجميع ؟! كفاك هدراً ! انت تنسى مرةً اخرى انك
في باريس ، أخرجه من نفسك ، بيروتك هذه ، أخرجه
فاقتلها ثم ادفنها . اما باريس ، فواجهها كما هي ، وتأملها ملياً ،
ولن تلبث هي نفسها ان تتسلل الى قلبك فتعيش فيه .

والآن ، ينبغي لك ان تقول شيئاً . لقد قال لهم صالح
إنك شاعر ، وانتهى الأمر . فمن يدري : لعل سوزان او
جانيت تقول لنفسها هذه اللحظة : « نعم ، شاعر ، ولكنه أبكم ! »



وانبعث فجأة من « الصالون » نغبات تأنغو حالم ، فألقى سعيد ما بيده من طعام ، وغمز سوزان بعينه . وما لبث أحمد ان جذب هيلين بقوة واللقمة تملأ فمه . وقال صالح :

— اما نحن ، فنفضل الطعام على الرقص ، اليس كذلك يا جانيت ؟

— بلى يا حبيبي .. أقصد اننا لن ننهض الى الرقص ، قبل ان تفرغ المائدة من الطعام !

وربيع وحده ظلّ يمزغ لقمته بهدوء ، وطيف بسمة يراود شفثيه . ولكن انظلي انت علي وجلك ؟ انظر اليها : انها تودّ ان تراقصك . لا ، لا تحشّ شيئاً ولا تكن بليداً . إنه لا مجال للغيرة هنا . إن جميع الشبان يراقصون جميع الفتيات . ولكنها قد ترفض دعوتي ! ثم إنها ...

— الا يجب الشاعر الرقص ؟

وانتفض في مجلسه ، ثم ابتسم ، ثم نهض دون ما تريث : — بلى ، وان كان لا يُحسّنه كثيراً . ويسعدنا ان يراقص زينة ، يقصد كليوباترة ، يقصد مرغريت ...

ونهضت ، تشعّ على شفثيها الممتلئين بسمة رائقة ، وهي تنظر الى كامل . وقال كامل :

— ما دام ضيفنا العزيز لا يُحسّن الرقص كثيراً ، فارقصي معه « اليبوب » يا مرغريت !

ولم ينتبه الى السخرية الصغيرة لأنه كان يفكّر : إذن مرغريت هي صاحبة كامل ؟ لا ريب في انه ينعم بلذائذ جنتها الناضجة . إنه جدير حقاً بان يُحسد . هذا الجسد ، ذاك النهدان ...

وأحسّ بهما ، نهديها ، يرتعشان على صدره ، فيما هو يشدّها اليه ، وشعر بجسدها يرتخي بين ذراعيه ، وبفمها قريباً من فمه . وشمّ رائحة الخمر تنبعث قوية من فمها ، وشمّ رائحة العرق تنبعث قوية من جسمها . امرأة بين ذراعيه ، ملء ذراعيه ، ملء كيانه . امرأة تشتهي . امرأة تُقبّل شفثيها يجنون .

واصطكت ركبتاه ، وفقدت خطواته إنقاع الرقص ، فاضطربت وتعثرت . وشعر بان زينة تتحلل فجأة من ضمّته وهي تلتفت ناحية كامل ، في الغرفة الاخرى التي كان لا يزال يأكل فيها مع صحبه . وارتقت على مقعد قريب ، وهي ما تفكّ تنظر اليه . ورأى في عينها بريقاً ما أعجبه ! بريقاً لم يرَ — حياته — مثله في عيني امرأة .

وشاء ان يعود الى غرفة الطعام ، لكي يتحرك من مكانه

فقط ، ولكنه رآهم يخرجون الى قاعة الرقص ، من دون كامل الذي ظلّ يجمع الاواني والصحون . وهائم الآن جميعاً يرقصون . ونظر الى زينة ، لا يدري لماذا ، فألفاها تنهض متشاقلة ، وتدخل غرفة الطعام فتغلق خلفها الباب . وسمع بعد لحظات صرير القفل .

ونقل بصره بين الراقصين ، فأحسّ بان الجو الحميم الذي يغمرهم ، يفرقهم في صمت طافح بالحنين . ولاحظ ان سيمون تمتح « ربيع » شفثيها بنهم ، بينما توقف احمد وهيلين في وسط الحلبة وقد كفا عن الرقص ، فالتصق جسماهما وغرقا في قبلة لا تنتهي . اما سعيد ، فكان يوسّد سوزان ذراعه ، وقد استلقيا على ديوان في زاوية القاعة ، فانكشف ثوب فتاته عن ساقها العاجيتين . وانطفأ النور الكهربائي الباهر . واخيه مصباح شاحب الضوء ، احمر اللون . ثم كقت الموسيقى ، فساد صمت طويل ، كأن لم يكن ثمة انسان ، لولا ضحكات مكبوتة ، وتنهيدات متقطعة واصوات لثات يبللها الرضاب . حبيبي . حبيبي .

وانسلّ سريعاً خفيف الخطو ، كأنما ينتعل حذاء من حرير . حتى اذا بلغ الباب ، شقّه على مهل ، ثم ردّه خلفه دون ان

يُحكّم إقفاله ، وابتلعته الطريق .

لا ، ما أشدّ ما أكره هذا الارتجال ! انني احب ان اتنبأ بالامور لأعدّها لها عدتها واتخيل كيف يمكن ان تجري . بذلك وحده اتفادى من الخيبة ، وافلت من عواقب المفاجآت . ابي شيء كنت ارجو ان اصيبه في تلك السهرة ، هذه التي يطلقون عليها اسم « سوربريز بارتى » ؟ ما الذي قادني الى ان احشر نفسي في هذا الجو الحافل بالانسجام ؟ خمس فتيات لخمسة شبان ، حسبتي بينهم كاليتيم ، واحسنتني دخيلاً ثقيل الظل . وما الذي نلته بعد ذلك ؟ اجساد . نهود . شفاء . رضاب . حبيبي . حبيبي . واطرق برأسه ، ومضى في طريقه ، وفي حلقة غصّة . ومال الى مقهى ، فشرّب زجاجة من عصير الليمون ، وظلت في حلقة الغصّة . والى نفسه بعد حين في «روديزيكول» من غير ان يفهم تماماً كيف افضى اليه .

ولكن ماذا ؟ اتعود الى غرفتك ، ولما تتجاوز الساعة العاشرة والنصف ؟ واي شيء ترى ستفعل في غرفتك ؟ لقد خرج صديقك صبحي وعدنان سعيماً وراء المغامرة ، افتنوي ان تبقى وحدك ؟ انه لكذلك . اعرف ان الساعة لم تتجاوز العاشرة والنصف ، واعرف ان صبحي وعدنان غادرا الفندق . ساعدوا الى غرفتي واطل وحدي . اريد ان اظل وحدي . وحدي . ان الذين يتهمونك بالعناد الشديد ليسوا على خطأ كبير .

وارتمى في غرفته على الكرسي المريح ، ثم نهض وخلع ثيابه ببطء ، وغسل وجهه ، ثم ارتدى منامته واستلقى على سريره وقد شبك ذراعيه تحت رأسه . التحسب انها هي التي ستقبل للبحث عنك ؟ أتظن انها هي التي ستدنو منك فتبتسم لك ، ثم تعطف نحوك وتمس في اذنك : « انا التي تبحث عنها . . تعال احبّني ! »

تبحث عنها ، عن المرأة . تلك هي الحقيقة التي تنساها ، بل تتجاهلها . لقد اتيت الى باريس من أجلها . والآن ، ارأيت انك كنت مخدوعاً عن نفسك ، ساعة كنت تتصور انهن كثيرات كثيرات هنا ، وانه يكفيك ان تسير في الطريق ، ليتهافتن عليك ويجدثنك حديث الهوى ؟

ونفض من سريره نثر الاعصاب . نقطة الماء . نقطة الماء هذه التي تسقط في المغسلة تثير حنقه بصوتها الرتيب . انها تسقط كل عشرين ثانية تقريباً . وكلما سقطت ، كان لصوتها نقرة تحدث في فكره نغمة جديدة تقطع سلسلة افكاره . وشد اللولب شدّاً محكماً ، حتى اذا تبّعن من انقطاع النقطة ، عاد

فاستلقى على سريره . طبعاً . ان بوسعه الآن ان يفكر بهدوء او ينام براحة . اجل ، ينبغي لك ان تطلبها ، ان تنشدها ، ان تسعى في أثرها . انها هي هي . في بيروت وباريس ، في جميع أنحاء الدنيا . لقد خدعوك حين قالوا لك إن ..

وصكت سمعه فجأة دقائق ساعة قريبة ، لا بد انها ساعة محافظة « الدائرة الخامسة » تجاه « البانتيون » . ولم يكن قد انتهى من عدّ دقائقها حين بدأت ساعة اخرى ، لعلها ساعة السوربون ، تدق دقائق اقوى وأشدّ عزماً . واختلط عليه الامر ، فكفّ عن العد حتى انتهت الدقات . وفي اصداء رنينها ، سمع دقائق بطيئة بعيدة ، ثقيلة ، - كأنها خطوات عجوز تنتاهى الى سمعه ، فقال انها ساعة كنييسة نوتردام . وحين تلاشت الاصداء ، اخذه العجب من أنه لم يتنبه قبل الآن الى هذه الساعات الثلاث . أفكانت معطلة ، أم نفسه كانت ، قبل هذه الليلة ، مكتظة بالأصوات ؟

وجعل ينتظر دقائق الساعات الثلاث بعد ربع ساعة ، حتى اذا سمعها ، راح يتقرب دقائقها مؤذنة بالنصف بعد الحادية عشرة . انفردت سلسلة الافكار جميعاً ، ولا سبيل الى نظمها من جديد . ودخل صبحي الغرفة قبيل الثانية عشرة .

— الا تزال مستيقظاً ؟

— كنت على وشك ان انام فأيقظني دخولك .

— الا تودّ ان أقصّ عليك مغامرتنا اللذيذة الليلة ؟

— أرجوك يا عزيزي . أرجي ذلك الى الغد . إن النعاس

يقتلني .

ورأى صديقه يخلع ملابسه ويرتدي منامته على عجل ، ثم

يستلقي على سريره ، وهو يزفر زفرة طويلة .

وانفجرت الساعات الثلاث تدقّ الثانية عشرة ، مختلطة الدقات .

— : أسمع يا صبحي هذه

الساعات الثلاث ؟

ولكن صبحي لم يُجب . لقد

نام . لا بدّ انه التقى بها . وجدها

هي . . . المرأة .

وتقلّب في فراشه ، وعزم

بدوره عزمًا قوياً على النوم .

ولكنه بعد لحظات ، فاجأ نفسه

وهو يترقّب ان تدق الساعات

الثلاث ، الربع بعد الثانية عشرة .



سهيّل ادريس